التوازي التركيبي في سورة الفرقان

مــي ياســين طـــه *

تأريخ التقديم: 2019/5/7 تأريخ القبول: 2019/5/26

المستخلص :

تتـألف بنيـة الجملـة القرآنيـة مـن نسـق محكـم للكلمـات تتواشـج وتتـآخى فيمـا بينهـا علـى نحـو فريـد مـن الترتيـب لتـؤدي وظيفـة ايصـالية إلـى المتلقـي. والعبـارة القرآنيـة أو الجملـة القرآنيـة قـد جعـل الله فيهـا مـن المرونـة والسـعة بحيـث يفهمهـا العقل العربـي فـي عصـر نـزول القرآن ويجد فيهـا المسلم مـا يشبع فكره ووجدانـه معـاً بـالفهم الفطـري السـهل الميّسـر لكـل قـارئ للقـرآن. ومـع هـذا فقـد أودع الله تعـالى الجملـة القرآنيـة مـن السعة والخصـوبة مـا يتسع لمـا يكشـف عنـه الـزمن مـن حقـائق ومـا يبلغـه العلـم مـن تطـور وتقـدم كمـا نشـاهد فـي عصـرنا[1]. وإنّ العـرب إذا أرادت تثبيـت معنـى مـن المعـاني، واردات تمكينـه فـي الـنفس احتاطـت لـه، واجتهـدت فـي تثبيتـه والتمكـين لـه، وأحاطتـه بسـياج يمنـع المخاطـب مـن أن يقـع فـي الـوهم، أو أن ينصـرف ذهنـه إلـى معنـى آخـر، أو أن يفـوت عليـه شـيء مـن المعنـى[2]، ومـن بـين هـذه الطرائـق التـي أتبعتهـا للاحتيـاط للمعنـى هـو الإعـراب، وهـذا مـا يتعلـق بتركيـب الجملـة. وأحـد سـبل دراسـة تركيـب الجملـة وأهميتهـا فـي فهـم الـنص القرآنـي هـو التوازي.

الكلمات المفتاحية : انزياح؛ تركيب؛ تقديم

مدخل إلى مفهوم التوازي التركيبي في القرآن الكريم :

* مدرس مساعد / مديرية تربية نينوى/ وزارة التربية العراقية .

(1) الآيـــات القرآنيـــة المتعلقـــة بالرســـول محمد ﷺ: دراســـة بلاغيـــة اســـلوبية، عـــدنان جاســـم محمد الجميلي، ط1، 1430 هـ – 2009م، ديوان الوقف السني، بغداد، ص136.

(2) الجملة العربية والمعنى: د.فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، ط1، 1428هـ – 2007م، 124.

تُعدّ سورة الفرقـان – كمـا هـو فـي كـل سـور القـرآن الكـريم – وحـدة متصـلة يصـعب فصـل بعضـها عـن بعـض، لـذلك سـتكون دراسـتنا للتـوازي التركيبـي فـي هـذه السـورة علـى وفـق تسلسـل الآيـات فـي السـورة وذلـك لقـوة تـرابط التراكيـب النحويـة فيمـا بينهـا وما ينتج من انزياح تركيبي متعدد الأشكال.

والتـوازي التركيبـي يعمـل علـى خلـق التماثـل بـين أجـزاء السلسـلة الكلاميـة، والتماثـل هـو المبـدأ البـاني للإيقـاع فـي مفهومـه العـام، يقـول عبـد القـاهر الجرجـاني: "الألفـاظ لا تفيـد حتـى تؤلـف ضـرباً خاصـاً مـن التـأليف، ويُعمـد بهـا إلـى وجـه دون وجـه مـن التركيـب والترتيـب"[1]، والدلالـة التركيبيـة هـي المتعلقـة ببنيـة الجملـة، فتغـدو القـرائن النحويـة هـي الوسـائل الكاشـفة للمعنـى التركيبـي، أي تنـتج عـن طريـق الـنظم (الضـم والتعليـق) ضـم وحـدات التركيـب بعضـها إلـى بعـض وتنسـيقها فهـي (تنبثـق مـن تـآزر القـرائن النحويـة وائتلافهـا نظـراً لارتبـاط دلالـة التركيـب بمفهـوم الفائـدة التـي لا تحقـق إلا بـائتلاف الكلـم وضـمّ بعضـه إلـى بعـض علـى وجـه مـن النحويـة المألوفـة)[2]، أن أهـم العناصـر المكونـة للتـوازي تلـك البنـى المتكئـة علـى التركيـب النحـوي لأنهـا تعـين علـى تحديـد السـمات النحويـة الأساسـية فـي اللغـة وأنظمتهـا، وتعين على فهم أبعادها الدلالية[3].

المبحث الأول : التوازي في الجمل الفعلية :

الجملـة الفعليـة هـي الجملـة التـي يتصـدرها الفعـل أو هـو مـا يتركـب مـن الفعـل والفاعـل، ومـا يتعـدى إليـه الفعـل إن كـان متعـدياً[4]، والجملـة الفعليـة تركيـب ينطوي على دلالة متجددة حدثت أو تحدث أو يطلب حدوثها[1].

---

(1) أسـرار البلاغـة: أبـو بكـر عبـد القـاهر الجرجـاني (ت 471هـ) علـق عليـه: محمـود محمد شـاكر، مطبعة المدني– القاهرة، 4/1.

(2) تجليـات الدلالـة الايحائيـة فـي الخطـاب القرآنـي فـي ضـوء اللسـانيات المعاصـرة سـورة التوبـة انموذجاً: د. فخرية غريب قادر، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011م، 251.

(3) مغاني النص (دراسة تطبيقية) في الشعر الحديث: سامح الرواشدة، ط1، 2006م، 151.

(4) الكتاب: سيبويه، تعليق: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1، 1999م ، 34/1.

تبدأ السورة الكريمة سورة الفرقان بالفعل (تبارك) الذي تكرر في عموم السورة ثلاث مرات – كان في كل مرة – البدء الموحي لكل موضوع تعالجه السورة، وخصّت لفظة (تبارك) في هذه المواضع بالذكر لأن ما بعدها عظائم شكّلت الدعائم التي قامت عليها هذه السورة فافتتحت آيات كل دعامة بجملة (تبارك الذي) وهذا يدل على براعة المطلع لأن الندرة من العزة والعزة من محاسن الألفاظ،

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ (الفرقان: 1)

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ﴾ (الفرقان: 10)

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً﴾ (الفرقان: 61)

فالأول فيه ذكر للقرآن، والثاني ذكر النبي عليه الصلاة والسلام، والثالث ذكر البروج والشمس والقمر والليل والنهار[2]، و(تبارك) أي تزايدَ خيرُه وتكاثر، وجاء بصيغة (تفاعَلَ) الذي استعمل منه الماضي فحسب– فهي كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده، فالفعل كالجامد الثابت[3]، وحصل التوازي التركيبي وفقاً لهذه الدعائم وكالآتي:

تبارك الذي ← نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً.
تبارك الذي ← جعل لك خيراً من ذلك.
تبارك الذي ← جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.

// = فعل ماض + الفاعل ضمير مستتر تقدير (هو) + المفعول به.

(1) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، (ت471هـ)، شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، 115.

(2) أسرار التكرار في القرآن: المسمى (البرهان في توجيه متشابه القرآن)، محمود بن حمزة برهان الدين الكرماني، المعروف بتاج القرآء (ت 505هـ)، تحقيق: عبد القادر احمد عطا، مراجعة: احمد عبد التواب عوف، دار الفضيلة للنشر، د. ت، 188/1؛ ينظر: التحرير والتنوير: المجلد 9، ج18.

(3) في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، ط34، 1425هـ_ 2004م ، 5/ 2547؛ ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 18/ 316.

نجـد أنّ التركيـب الفعلـي للـدعائم الـثلاث توحـد فـي دلالـة الفعـل علـى المضـي وتحقق حصوله وفي قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾ (الفرقان: 1 – 2)، فقد جاء الفاعل الذي يعدّ مكوناً نحوياً ومرتكزاً مهماً يتوقف عليه تكوين البنى النحوية الفعلية، ومن دونه لا تتحقق عملية الإسناد، وله في الأداء الكلامي مقاصد تعبيرية ووظائف إبلاغية، وما إن يذكر الفعل حتى يردفه ذكر الفاعل، فهما من المتلازمين اللذين لافكاك بينهما فهو كالجزء منه[1]، فجاء الفاعل بعد الفعل (تبارك) بصيغة الاسم الموصول (الذي) إذ تكاد تجمع التعريفات له بأنه (ما لا يتم بنفسه حتى يوصل بغيره فيكمل اسماً تاماً، ولا بد من أن يكون في الصلة ذكر من الموصول يرجع إليه ويتعلق به[2]، وذكر الاسم الموصول (الذي) هنا إنّما هو لإبراز صلته وإظهارها في هذا المقام، لأنّ موضوع الجدل في السورة هو صدق الرسالة وتنزيل القرآن[3]، أي يستخدم الاسم الموصول عندما تكون صلته هي مناط الحكم وموضوع الاهتمام. إنّ تكرار الاسم الموصول (الذي) إنما هو تأكيد على عظمة الخالق وحضوره القوي في كل نعمة من النعم المذكورة في الآيات، ومن جهة أخرى فصل للنعم بعضها عن بعض فصلاً زمانياً، فكلّ نعمة لها رتبتها وأهميتها وخصائصها[4]، ونتج عن تكرار الاسم الموصول (الذي) تعدد الصلات

(1) صور الفاعل الظاهر ودلالاتها في متن رياض الصالحين: رسالة ماجستير، نذير محمد أمين الجبوري، جامعة الموصل، كلية الآداب 2005م، 4.

(2) المقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1982م، 186/1.

(3) في ظلال القرآن: 5/ 2547.

(4) مستويات التحليل الأسلوبي: د. مرتضى علي شرارة، دارسة تطبيقية على (جزء عم)، عالم الكتب الحديث، الأردن ، ط1، 2014م، 201.

حين يراد بكل صلة أمر يستحق البيان. والتوازي التركيبي في هذه الآيات تمثّل في الجمل المعطوفة على صلة الموصول التي تبرز عظمة الله تعالى في كل شيء، وتمّ بسلسلة سياقية ارتبطت ببعضها فكانت بهذه الصيغة:-

الذي له ملك السموات والأرض و ← لم يتخذ ولداً.
← لم يكن له شريك في الملك.
← خلق كل شيء.
← فقدّره تقديراً.

فقوله تعالى: (لم يتخذ) بدلالة الماضي بالمعنى المؤكد بـ(لم) والفعل المضارع المجزوم، وجملة (لم يكن له شريك في الملك) مؤكد فعلها المضارع المجزوم بـ(لم) ودلالته على الماضي بالمعنى، وجملة (خلق كل شيء) ثم أعقبه مؤكداً هذه القدرة بأنْ عطف بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب وقال (فقدّره تقديراً) فجاءت مؤكدة للفعل الماضي بالمصدر – (المؤكد لفعله) المفعول المطلق (كأنه قال: وقدّر كل شيء فقدّره)[1]، فالتوازي الحاصل كان تاماً تركيباً ومعنى، فعدم اتخاذه ولداً، وعدم اتخاذه شريكاً له في الملك، وخلقه كل شيء بتقدير دقيق، كل ذلك دليل الملكية التامة له تعالى وقدرته على الخلق من العدم، أما صيغة التوازي التركيبي بالجملة الفعلية فهي كالآتي:-

// = لم + فعل مضارع مجزوم (ماض بالمعنى) + فاعل + مفعول به

(في الجملة الأولى والثانية)

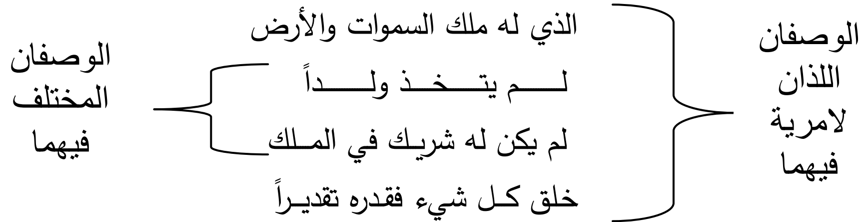
// = فعل ماض + فاعل (ضمير مستتر) + مفعول به

(في الجملة الثالثة والرابعة)

لقد أجريت على اسم الله تعالى هذه الصفات الأربع بطريق تعريف الموصولية لأنّ بعض الصفات معروف عن المخاطبين اتصاف الله به وهما الصفتان الأولى والرابعة، فإنّ المشركين ما كانوا يمترون في أن الله هو مالك السموات والأرض، ولا في أن الله هو خالق كل شيء لكنهم يَدَّعون لله ولداً

(1) الكشاف: ابو القاسم محمود الزمخشري، دار الحديث، 1433هـ – 2012م، مصر، 263/3.

وشـريكاً فـي الملـك[1]، ومـن بـديع الـنظم القرآنـي أن جعـل الوصـفين المختلـف فيهمـا معهـم متوسـطين بـين الوصـفين اللـذين لامريـة فيهـا حتـى يكـون الوصـفان المسـلّمان كالـدليل أولاً والنتيجـة آخـراً، فـإنّ الـذي لـه ملـك السـماوات والأرض لا يليـق بـه أن يتخـذ ولـداً ولا ان يتخـذ شـريكاً لأنّ ملكـه العظـيم يقتضـي غنـاه المطلـق فيقتضـي أن يكـون اتخـاذه ولـداً وشـريكاً عبثـاً لا غايـة لـه[2]. إن التـوازي التركيبـي الحاصـل يـدعو إلى الدهشة وينفي فكرة المصادفة نفياً باتاً: كما يأتي



ثـم اتبـع الحـديث عـن قـدرة الله تعـالى وملكيتـه بالحـديث عـن أولئـك المشـركين الـذين لم يدركوا شيئاً عن هذا كلـه، فقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقـان: 3)، واسـتأنف الكــلام بهـذه الآيــات التــي تجـرّد آلهــتهم المـدعاة مــن كــل خصــائص الألوهيـة. وتـم ذلـك مـن خـلال الفعـل (اتخـذوا) المسـند إلـى ضـمير الغائـب (واو الجماعـة) ليـدل علـى المشـركين المنكـرين لإلوهيتـه تعـالى، فلـم يسـبق لهـم ذكـرٌ فـي الآيـة، إنمـا هـم معروفـون فـي مثـل هـذا المقـام وخاصـة مـن قولـه تعـالى: (ولـم يكـن لـه شـريك فـي الملـك)[3]، هـذه الآلهـة التـي فضّـلوا عبادتهـا علـى عبادتـه سـبحانه أضـفى عليهـا صـفات تـدل علـى عجزهـا وضـعفها أمـام قـدرة الله تعـالى، ولإثبـات الضـعف نفـى عـنهم القـدرة بالفعـل المضـارع المنفـي بــ (لا النافيـة للحـال والاسـتقبال) فـي

(1) ينظر: الكشاف: 236/3؛ التحرير والتنوير: 18/ 318 (المجلد التاسع).

(2) ينظر: الكشاف 263/3؛ التحرير والتنوير: 318/18 (المجلد التاسع)

(3) التحريـر والتنـوير: الشـيخ محمد الطـاهر ابـن عاشـور، دار سـحبون للنشـر والتوزيـع، تـونس، 1997، 18/ 320.

الصفات الثلاث كدليل على نفي قدرتها على فعل أي شيء، فكان التوازي تركيبياً تاماً وكالآتي:-

لا يخلقون شيئاً

اتخذوا من دونه آلهةً ← لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً

لا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا

// لا + فعل مضارع + الفاعل (واو الجماعة) + المفعول به

وإذا عدنا إلى الآيات التي بينت قدرة الله تعالى على كل شيء، وقابلناها بالآيات التي تبعتها في إظهار ضعف الآلهة من خلال الصفات التي أضيفت عليها لوجدنا المقابلة الناشئة بين الآيات في الحالتين:

صفات الله تعالى		صفات الكفار وألهتهم
		ج
لم يتخذ ولداً	تقابل ←	واتخذ من دونه آلهة
الذي له ملك السماوات والأرض	تقابل ←	لا يخلقون شيئاً
ولم يتخذ ولداً	تقابل ←	هم يخلقون
لم يكن له شريك في الملك	تقابل ←	لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً
خلق كل شيء فقدره تقديراً	تقابل ←	لا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً

وقد تحقق التوازي التركيبي بين كل جملتين متقابلتين ليثبت الصفة لمالكها. ففي الصفة الأولى جاء الفعل ماضياً لكلا الجملتين، الأولى بصيغة الماضي بالمعنى (لم + الفعل المضارع المجزوم) والثانية بالفعل الماضي لتؤكد حقيقة عدم اتخاذ الولد لله تعالى، وحقيقة اتخاذ الكفار الآلهة، وفي الصفة الثانية تمّ بالانزياح التركيبي: والانزياح هو (الخروقات الهادفة للمنظومة التركيبية والعرف اللغوي وتشمل التغييرات والتحويلات التي تطرأ على النمط التوليدي

(كيفيــة ترتيــب وحــدات التركيــب وكميتهــا) مــن التحريــك الأفقي(تقــديماً وتــأخيراً) لوحداتــه وإعــادة ترتيبهــا ترتيبــاً جديــداً، أو مــن تقلــيص كميتــه واختزالهــا بإسـقاط بعـض العناصــر، أو مــن توســعته باستضــافة عناصــر جديــدة وإحضــارها)[1]، ففــي الجملــة الاســمية التــي تشـير إلــى ثبــوت الصــفة لله تعــالى بأنــه الــذي لــه ملــك الســماوات والأرض، إلــى الجملــة الفعليــة المنفيــة بــ(لا) الداخلــة علــى المضــارع تأكيــداً علــى عــدم قــدرتهم علــى الخلــق فــي أي زمــن مــن الأزمــان، وفــي الصــفة الثالثــة نجــد الانزيــاح أيضــاً أدّى إلــى أثبــات الصــفة لكــل مــن الطــرفين فجــاء الفعــل المضــارع منفيــاً بــ (لــم) الجازمــة التــي تقطــع حصــول الفعــل فــي اتخــاذه تعــالى ولــداً إلــى الجملــة الاســمية التــي تثبــت حقيقــة الآلهــة بــأنهم يُخلَقــون أي (يُصــنَعون)، وفــي الصــفة الرابعــة حصــل التــوازي التركيبــي عــن طريــق الانزيــاح التركيبــي مــن صــيغة الماضــي بــالمعنى المتمثــل بــ(لم + الفعـل المضــارع المجـزوم) إلــى صــيغة المضــارع المنفــي بــ(لا) النافيــة، هــذا الانزيــاح التركيبــي فــي الصــيغة اثبــت حقيقــة عــدم اتخــاذه ســبحانه شــريكاً فــي الملــك ونفــى قــدرة الآلهــة علــى دفــع الضــر أو جلــب النفــع لأنفســهم. أمــا فــي الصــفة الخامســة فســاهم الانزيــاح التركيبــي كــذلك فــي تثبيــت المعنــى المــراد. ففــي الجملــة الأولــى تــم بالفعــل الماضــي واتبعــه بفعــل مــاضٍ مؤكــد بمصــدره كــي يضــفي قــوة فــي التعبيــر علــى قــدرة الله تعــالى فــي الخلــق والتقــدير أمــا فــي الجملــة التــي تقابلهــا فجــاءت بصــيغة المضــارع المنفــي بــ(لا) النافيــة للحــال والاســتقبال كــدليل علــى عــدم ملكهــم أو قــدرتهم علــى فعــل أي شــيء فَخلْقُــه وتقــديره سبحانه وتعالى قديم أزلي أمّا عجزهم عن القدرة فمتجدد ومستمر.

وفـي الآيـات التـي تلـي مـا ذكـر عـن تطـاول الكفـار علـى مقـام الخـالق جـل وعــلا بينــت آراء الكفــار وتخــبطهم فــي حقيقــة القــرآن الكــريم وتطــاولهم علــى رســول الله فقال تعـالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً﴾ (الفرقـان: 4)، هـذه الآيـات توضـح التخـبط والادعـاء فـي قـولهم وتبـين ذلك عبر التوازي التركيبي في الجمل الفعلية الآتية:

(1) ينظر: تجليات الدلالة الإيحائية: 266.

قال الذين كفروا ان هذا ألا إفك
- افتراه ← فعل ماضٍ + فاعل (ضمير مستتر) + مفعول به ضمير متصل
- أعانه ← فعل ماضٍ + فاعل (ضمير مستتر) + مفعول به ضمير متصل عليه قوم آخرون

لقد جاء أسلوب القصر (النفي والاستثناء) في قوله: (أن هذا ألا إفك) وهو جملة القول متسلطاً على كلا الفعلين فأعطى معنى أن القرآن لا يخلو من مجموع أمرين هما:

أن يكون أفترى بعضه من نفسه وأعانه قوم على بعضه، وأستدرك بما معناه (فقد جاءوا ظلماً بافترائهم وزوراً بقولهم) [1]، أي

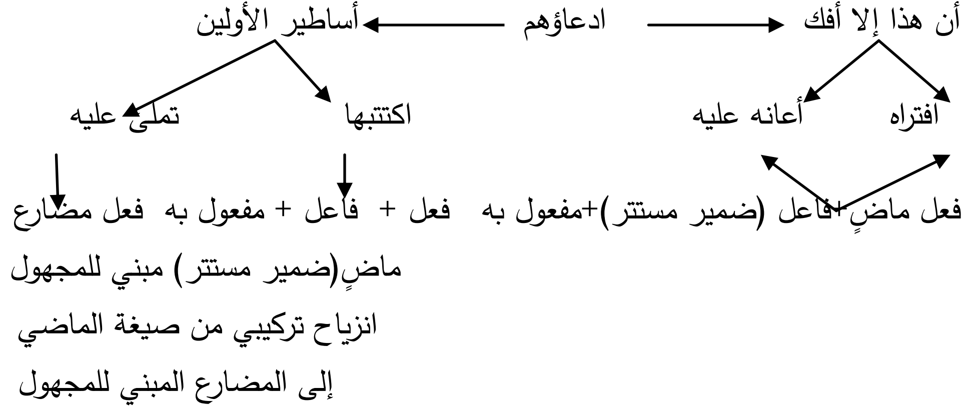
إنْ هذا ألا أفك
- افتراه ← ظلماً
- أعانه عليه قومٌ آخرون ← زوراً

أما في القول الثاني ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان: 5) فقد أدّعى فيها الكفار أن القرآن إنما هو أساطير الأولين. وقد وضحّه التوازي التركيبي الفعلي من خلال الفعل (أكتتب) بصيغة (افتعل) ودلالته على التكلّف في حصول الفعل أي حصوله من فاعل الفعل.

أساطير الأولين
- اكتتبها ← افتعل (تكلّف)
- تُملى عليه ← بمعنى استنسخها (تكلّف)

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 18/ 323.

واسـتئناف مـا بعـد الافتعـال ببنـاء الفعـل (تُملـىَ) للمجهـول كـي يغيّبـوا هوية الفاعل بعدم ذكره فهو ادّعاء وليس حقيقة فيلحظ التوازي بالشكل الآتي:



ذلـك مـا يبـدي تخـبطهم وادعـاءهم فيمـا يخـص القـرآن الكـريم، أمـا فيمـا يخـصّ النبـي ﷺ، فقـد جـاء الكـلام مسـوقا للشـروع فـي بيـان قبـائحهم التـي ارجفـوا بهـا فـي شـأن الرسـول ﷺ حتـى يثبتـوا أقـوالهم السـابقة فـي القـرآن، فقـالوا فـي شـأن الرسـول ﷺ ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾ (الفرقـان: 7 – 8)، وقـد توضـح التـوازي التركيبـي عبـر سلسـلة مـن التقولات ارتبطت بالفعل (قالوا) الذي أصبح (بؤرة للتوازي)، وهي ستة افتراءات:

الأولى: يأكل الطعام ← فعل مضارع + فاعل (ضمير مستتر)

الثانية: يمشي في الأسواق

الثالثة: لولا انزل إليه ملك

الرابعة: يلقى إليه كنز

الخامسة: تكون له جنة

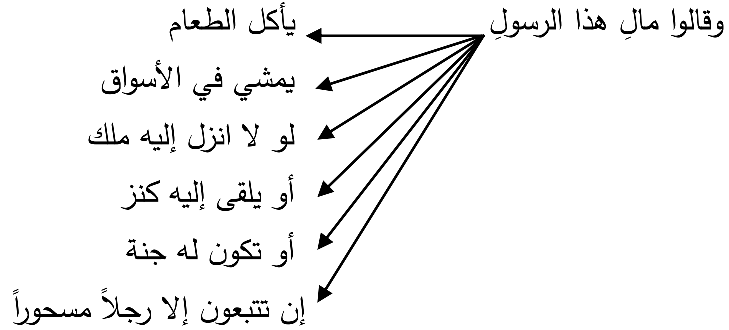
السادسة: إن تتبعون إلاّ رجلاً مسحوراً

لقد حصل التوازي التركيبي في الافتراءين الأولين عبر متواليتين متكونتين من:

فعل مضارع + الفاعل + ← مفعول به

(ضمير مستتر) + شبه جملة جار ومجرور

فقد بين الفعلان المضارعان حال الرسول ﷺ في نظرهم وهو يتصرّف كبشر عادي لا يميزه شيء عن سائر البشر. أما التوازي التركيبي فيما بعدهما فيكمن في حسن عطف الفعل المضارع (يلقى) و(تكون) على الفعل (أُنزل) وهو ماض لأنه بمعنى (ينزل)[1]، وبذلك يتحقق التماثل في الصورة التركيبية للافتراءات التي ارجفوا بها من خلال صيغ الأفعال المضارعة التي تدل على استمرار حدوث الفعل، كما يأتي:-



فضلاً عن الانزياح التركيبي بالالتفات من حال الغياب إلى حال المخاطب في الفعل (تتبعون) ليلفتوا النظر إلى الصفات التي ذكروها.

وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ (الفرقان: 11) من بديع الأسلوب القرآني في هذه الآية تقدم شبه الجملة (لمن كذب) تخصيصاً لهم بالعذاب، فوضع الموصول (مَن) موضع الضمير(هم)، ووضع (الساعة) موضع ضميرها، وذلك مبالغه في التوبيخ[2]،فالانزياح التركيبي الذي حصل جاء بصيغتين:-

١- بتقديم شبه الجملة على المفعول به (واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً)

شبه الجملة   مفعول به

٢- بوضع الظاهر موضع المضمر، فالأصل (واعتدنا للمكذبين بها سعيراً)

---

(21) اعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش، اليمامة للطباعة والنشر، دار ابن كثير، بيروت، ط9، 1424هـ- 2003م ، 331/5.

(2) ينظر: اعراب القرآن الكريم :٣٣٢/٥.

وبـذلك يكـون التـوازي التركيبـي بـين الجملتـين (كـذبوا – لمـن كـذب) قـد أدى المعنى المراد في إرادة التوبيخ.

وفـي قولـه تعـالى: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ (الفرقـان: 14) فقـد دل علـى حالـة اليـأس مـن الخـلاص للكفـار المكـذبين، فهـم مكروبـون فـي السـعير، فراحـوا يـدعون الهـلاك أن ينقـذهم مـن هـذا الـبلاء، أي أصـبح الهـلاك أمنيـة المتمنـي، والمنقـذ الوحيـد للخـلاص مـن هـذا الكـرب فيسـمعون الجـواب بـتهكم سـاخر مريـر "لا تـدعو اليـوم...". وتمثـل التـوازي التركيبـي هنـا بمقابلـة الفعلـين (لا تـدعوا، وادعـوا) اللـذين جـاءا بصـيغة الطلـب (لا تـدعو: لا الناهيـة + فعـل مضـارع مجـزوم) و (أدعـو فعـل أمـر) فصـيغة الطلـب هـذه عمقـت أسـلوب السـخرية والـتهكم فـي طلـب الثبور ليكون هو المنقذ لهم وهم في ذلك الموقف، وكما يأتي:

لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً ← لا ناهية جازمة + فعل مضارع مجزوم + واو الجماعة (فاعل) + مفعول به + صفة

ادعوا ثبوراً واحداً ← فعل أمر + واو الجماعة (فاعل) + مفعول به + صفة

وقـال تعـالى ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الفرقـان: 27–28) تعـرض الآيـة الكريمـة صـورة نـدم الظـالم وهـو يعـض علـى يديـه، فـلا تكفيـه يـد واحـدة، إنمـا يـداول بـين هـذه وتلـك، وقـد حقـق التـوازي التركيبـي هـذا التـأثير مـن خـلال الفعـل (اتخـذتُ) و(لـم أتخـذ) ومـا سـبقهما مـن ألفـاظ فالجملـة فـي القـرآن الكـريم إمـا أن تكـون مرتبطـة بمـا قبلهـا بسـبب وبـرابط منـه، وإمـا أن تكـون مسـتقلة عمـا قبلهـا، وجـاءت بعـده لمناسـبة أو علـة أو هـدف، هـذا الترتيـب بـين الجمـل القرآنيـة ومـا قبلهـا لابـد أن يرجـع إلـى معنـى مـا يـربط بينهـا عامـاً كـان هـذا المعنـى أو خاصـاً[1]، لـذلك فـان (يـا ليتنـي)

(1) ينظر: في ظلال القرآن: ٥/٢٥٦.

التـي تفيـد الطمـع والتمنـي[1]، سـبقت الفعـل (اتخـذت)، فقـد تمنـى الظـالم لـو صـاحب الرسول ﷺ وسلك سبيل الحق، وهذا ما تحقق في الفعل الماضي (اتخذت).

يا ليتني اتخذ تُ مع الرسول سبيــلاً

التمني فعل فاعل (مفعول به مقدم) مفعول به مؤخر

كمـا أن للانزيـاح التركيبـي بتقـديم المفعـول الثـاني (مـع الرسـول) علـى المفعـول الأول (سـبيلاً) أثـراً فـي تعميـق تمنـي اتخـاذ الرسـول دلـيلاً للنجـاة، ويـزداد تعمّق المعنـى هذا بمـا يليـه وهـو ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ فـ(يا ويلتـى) كلمـه للتحسـر[2]، عمقـت معنـى القـول (ليتنـي لـم اتخـذ فلانـا...) الـذي سـاقه بهـذا الأسـلوب فـي التجهيـل (فلانـاً) ليشـمل كـل صـاحب سـوءٍ يصـد عـن سـبيل الرسـول فأصبح التوازي التركيبي بهذه الصيغة:

يوم يعض الظالم على يديه يقول ← يا ليتني اتخذت = فعل ماض + فاعل ظاهر

↙ يا ويلتى ليتني لم أتخذ = (ماض بالمعنى)

لم + فعل مضارع + فاعل مستتر

والاتخاذ ← للرسول (تمنٍ)

↙ للصاحب (تحسر)

وكلاهما لم يتحقق.

وفي قولـه تعـالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقـان: 32)، حيـث تواصـل الآيـة استعراض مقولات المجـرمين الـذين يقفـون فـي وجـه دعـوة القـرآن الكـريم، المسـوقة لحكايـة شـبهة مـنهم تتعلـق بـه، والحـاكون هـم قـريش أو اليهـود[3]، فعرضـت الآيـة قـولهم السـاقط فـي أساسـه بصـيغة الفعـل المبنـي للمجهـول (نُـزِّل) وقـد غيـب الفاعـل بقـولهم تبجحـاً مـنهم وتعاليـاً بعـدم ذكـره، وممـا يعمـق دلالـة الفعـل انـه سُـبق بحـرف التخضـيض (لـولا)

---

(1) المفـردات فـي غريـب القـرآن: لأبـي القاسـم الحسـين بـن محمد المعـروف بالراغـب الاصـفهاني، (ت 502هـ)، راجعة وقدم له: وائل احمد عبد الرحمن، وقدم له المكتبة التوثيقية، مصر، 2003م، ٤٦١.

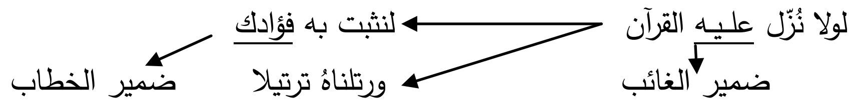
(2) مفردات الراغب: ٥٥٠.

(3) ينظر: في ظلال القرآن: ٢٥٦٢/٥.

بمعنــى(هلّا) الــذي أفــاد اللــوم والإنكــار لدخولــه علــى الماضــي، فحقــق بــذلك التركيــب قبح قولهم الباطل، كما أن الانزياح التركيبي الحاصل بعده أكدّ ذلك، فجاء في:

١- الانزيــاح التركيبــي بتقــديم شــبه الجملــة (عليــه) علــى نائــب الفاعــل (القــرآن) وهــذا ما أفاد التوكيد بالتخصيص.

٢- الانزيــاح التركيبــي الحاصــل فــي ردِه ســبحانه وتعــالى علــيهم تثبيتــاً منــه تعــالى لنبيّـه وتطمينـه علـى إمـداده بالحجـة البالغـة، وتـم ذلـك بالالتفـات مـن ضـمير الغائـب إلى ضمير الخطاب.



٣- الانزيــاح التركيبــي بعطــف الفعــل الظــاهر (رتلنــاه) علــى الفعــل المحــذوف (نزلناه) قبل (لنثبت به فؤادك) [1].

٤- الانزيــاح التركيبــي بالمقابلــة بــين القــول والــرد عليــه، فــ(لولا نُــزِّل عليــه القــرآن جملـة واحـدة) تقابـل (لنثبـت بـه فـؤادك ورتلنـاه تـرتيلاً)، أي (قـدّره آيـة بعـد آيـة بترسـل وتثبّـت، وقيـل: هـو انزلـه مـع كونـه متفرقـاً علـى تمكـث وتمهـل فـي مـدة متباعـدة وهـي عشـرون سـنة) [2]، كمـا أن لفظـة (رتَّـل) لا ثلاثـي لهـا حتـى تنقـل عنـه إلـى ربـاعي، وإنمـا هـي رباعيـة موضـوعة لهـذه الهيئـة الحسـنة المخصوصـة مـن القـراءة فهـي دلـت على الكثرة[3].

وقـال تعـالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقـان: 33) توضــح الآيــة الكريمــة لمــا استقصــى أكثــر معــاذيرهم وتعلّلاتهــم عطــف علــى ذلــك فذلكـة جامعـة تعـم مـا تقـدم ومـا عسـى أن يـأتوا بـه مـن الشـكوك والتمويـه بـأن كـل ذلــك مــدحوض بالحجــة الواضــحة الكاشــفة لترهــاتهم فالفعــل (يــأتون) بصــيغة

---

(1) ينظر: اعراب القرآن الكريم: ٣٥١/٥.

(2) معـاني القـرآن وإعرابـه: المنسـوب لابـو إسـحاق الزجـاج، (ت211هـ)، تحقيـق: عبـد الجليـل عبـده شـلبي، عـالم الكتـب، بيـروت، ط1، 1408هـ - 1988م، ٦٦/٤؛ إعـراب القـرآن الكريم:٣٥١/٥.

(3) ينظر: أعراب القرآن الكريم: ٣٥٢/٥.

المضارع مثبت لوجود الاستثناء، وجملة (جئناك) بصيغة الماضي وهي حال تقابل قوله (لا يأتونك بمثل) لأن المجيء مجازي، كما أن مقابلة (جئناك بالحق) و(لا يأتونك بمثل) تشير إلى أن ما يأتون به باطل، فحقق الانزياح التركيبي دوراً في فهم معنى ما يؤديه كل فعل، وذلك بالالتفات من صيغة المضارع إلى صيغة الماضي المحقق.

يأتونك ⟵ يستعمل مجازاً ليدل على كثرة ما يسوء وما يُكره

جئناك ⟵ للمجيء الحقيقي يستعمل في وصول الخير والوعد

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً ﴾ (الفرقان: 35) جاءت هذه الآية الكريمة لتأكيد تسلية الرسول ﷺ بحكاية ما جرى للأنبياء، وما كابدوه من أقوامهم، فجاءت الأفعال مؤكده بأكثر من صيغة، ففي العبارة الأولى وردت مؤكدات هي:

١- اللام الداخلة على (قد): التي أفادت توكيداً فهي جواب لقسم محذوف.

٢- قد: حرف تحقيق وتوكيد لدخوله على فعل ماضٍ.

وأُتي بهما لتحقيق حدوث الفعل (آتينا) مما لا يدع مجالاً للإنكار في ذلك، وفي العبارة الثانية فقد جاءت بنفس قوه التوكيد التي أفادته العبارة الأولى بوساطة العطف، فضلاً عن التوكيد بتقديم ما حقه التأخير، فقد تقدمت شبه الجملة (معه) وهي المفعول الثاني للفعل (جعل) على المفعول الأول (أخاه) تخصيصاً له، وبذلك تحقق التوازي التركيبي بين العبارتين في الآية:-

// = لام التوكيد + قد (توكيد) + فعل ماض متعد إلى مفعولين + الفاعل (نا) + المفعول الأول + المفعول الثاني

واو العطف + فعل ماض متعد إلى مفعولين + الفاعل (نا) + المفعول الثاني (شبه الجملة) + المفعول الأول

وفـي تتمـة الآيـة السـابقة قولـه تعـالى: ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً﴾ (الفرقـان: 36)، إن جملـة مقـول القـول (اذهبـا) المتكونـة مـن فعـل الأمــر والفاعــل (الــف الاثنــين) وتلاهمــا شــبه الجملــة (إلــى القــوم) عطــف عليهــا بوســاطة الفــاء بمحــذوف تقــديره: فــذهبا إلــيهم فكــذبوهما فــدمرناهم، فحــذف جــواب الأمــر وأُظهــر المصــير المحتــوم المؤكــد (فــدمرناهم تــدميراً) فــي عطــف وإجمــال. فالانزيـــاح التركيبـــي الحاصـــل بوســـاطة حـــذف جـــواب الطلـــب والإتيـــان بالفعـــل (دمرنـــاهم) والانزيـــاح الحاصـــل بالألتفـــات مـــن صـــيغة الأمـــر (اذهبـــا) إلـــى صـــيغة الماضــي (فــدمرناهم) مــا يجعــل القــارئ يقــف ليتفكــر فــي عاقبــة هــؤلاء المكــذبين فضلاً عن الالتفات الحاصل من الخطاب إلى الغائب.

الفعلان الماضيان مسندان إلى (نا) المتكلمين ← فقلنا ← اذهبا (فعل أمر + فاعل)
فدمرناهم انزياح (ألف الاثنين)

وفـي قولـه تعـالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (الفرقـان:37) تبـين هـذه الآيـة حـال قـوم نـوح عنـدما جـاءهم بالعقيـدة الواحـدة التـي أرسـل بهـا الرسـل جميعـاً فلمـا كـذبوه كـانوا بـذلك قـد كــذبوا الرســل جميعــاً. وقــد بــين التــوازي التركيبــي الحاصــل بــالفعلين الماضــيين المتحققــين بصــيغتيهما (أغرقنــاهم، جعلنــاهم) الآيــة للنــاس فــي عقوبــة هــؤلاء القــوم وهــي أيــة الطوفــان المعروفــة، كمــا إن الانزيــاح التركيبــي بتقــديم شــبه الجملــة (للظــالمين) جــاءت بــدل الضــمير (هــم) لإثبــات هــذا الوصــف لهــم وبيــان ســبب العــذاب، كــان لــه الأثــر فــي التعيــين والتخصــيص لهــم فتكــون مــن وضــع الظــاهر موضوع المضمر تسجيلاً عليهم بوصف الظلم[1]:

قوم نوح لما كذبوا الرسل ← أغرقناهم
← جعلناهم
// = فعل ماضٍ + الفاعل (نا) المتكلمين + مفعول (هم)

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 27/19؛ في ظلال القرآن: 2564/5؛ اعراب القرآن الكريم: 354/5.

وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ (الفرقان: 39) سياق الآية يستعرض استعراضاً سريعاً المصارع المؤثرة للقوم المكذبين وهم (قوم موسى ونوح وعاد وثمود وأصحاب الرس....) ثم قال (وكلاً ضربنا له الأمثال) حتى يتعضواً ويعتبروا، (وكلا تبرنا تتبيراً) فكانت عاقبة التكذيب هي التحطيم والتفتيت والدمار[1]، وكان للانزياح التركيبي هنا أبرز دور حيث تقدم المفعول به (كلاً) على فعله في الجملتين (ضربنا، تبّرنا)، فتقدير (كلاً) الأولى هو مفعول به لفعل محذوف يلاقي (ضربنا) في المعنى، أي (خوفنا) و(انذرنا كلاً) أي نُصب على الاشتغال، فأصبحت جملة (ضربنا) مفسرة[2]، هذا التقديم للمفعول به على الفعلين أفاد التوكيد بالحصر بأن المكذبين كلهم ملاقو ذات المصير بعد أن ضُربت لهم الأمثال ويتوضح ذلك من خلال الانزياح بصيغة تقديم ماحقه التأخير:

كلاً ضربنا له الأمثال = مفعول به + فعل ماض + الفاعل

كلاً تبرْنا تتبيراً — مقدم (جوازاً) — (نا) المتكلمين

وهكذا نجد في قوله تعالى: (فقلنا... تبرنا تتبيراً) أفعالاً تدل على قدرة عظيمة نسبها جلّ وعلا لذاته العلية. فقد أسندت الأفعال الواردة في هذه الآيات إلى الضمير المتكلمين (نا) بصيغة الجمع تعظيماً لشأنه تعالى ودليلاً على سيطرته المطلقة في كل الأمور، فكان التوازي التركيبي بادياً بشكل جليّ، إذ أسهم من خلال تركيب الجملة الفعلي في إثبات هذه الأفعال لله وحده وكما يأتي:

فعل ماض + الفاعل (نا) المتكلمين + المفعول به ←
فقلنا أذهبا
فدمرناهم
اغرقناهم
جعلناهم
اعتدنا عذابا
كلاً ضربنا
كلا تبّرنا

(31) ينظر: في ظلال القرآن: ٥/٢٥٦٤.

(32) ينظر: إعراب القرآن الكريم: ٥/٣٥٥.

فضلاً عن إفادتها التوكيد لأنها بصيغة الزمن الماضي.

وقال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ (الفرقان: 43)، تضمنت الآية الكريمة التفاتة بالخطاب إلى رسول الله ﷺ تعزية له عن عناد المتطاولين، فهم يجعلون من هواهم إلهاً يعبدونه ولا يرجعون إلى حجة أو برهان. فكان للانزياح التركيبي دور مهم في الاستفهام الذي أفاد التعجب (أرأيت الذي اتخذ إلهه هواه) فقدم المفعول الثاني (إلهه) على المفعول الأول (هواه) لأنه أهم، كذلك للاعتناء به لأنه هو المحور الذي يدور عليه التعجب، فالمفعول الثاني هو المتلبس بالحادثة، أي: أرأيت من جعل هواه إلهاً لنفسه من غير أن يلاحظه، وبنى عليه أمر دينه معرضاً عن أتباع الحجة والبرهان(1)، فضلاً عن إفادتها الحصر، فان الكلام قبل دخول (أرأيت) مبتدأ وخبر، فالمبتدأ (هواه) والخبر (إلهه)، وتقديم الخبر يفيد الحصر فكأنه قال: أرأيت من لم يتخذ معبوده إلا هواه، فهو أبلغ من ذمه وتوبيخه(2)، لكن الملاحظ أن التوازي بين الفعلين (رأيت وتحسب) الذي هو بتقدير (أتحسب) قائم على أساس البنى المتخالفة لا على أساس البنى المتوافقة، فالفعل (رأيت) فعل ماضٍ والفاعل الضمير المتصل (التاء) للمخاطب، والفعل (تحسب) فعل مضارع والفاعل ضمير مستتر بتقدير (أنت) للمخاطب كذلك، فحصل التوازي بين العبارتين من خلال الضمير المتصل والمستتر، فضلاً عن الانزياح بالالتفات من صيغة الماضي إلى صيغة المضارع، وهذا ما منح الاستفهام هنا مزيداً من التناغم والتوافق والتشارك.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ (الفرقان: 45-46) تورد الآية الكريمة بعض الأدلة المحسوسة على توحيده سبحانه، وأولها امتداد الظل، إنها

(1) ينظر: أعراب القرآن الكريم: ٣٥٨/٥.

(2) ينظر: م. ن؛ ينظر: اعراب القرآن الكريم: 362/5.

القدرة القوية اللطيفة التي يغفل البشر عن تتبع آثارها في الكون من حولهم، فالكون بناه تعالى على هذا النسق حيث جعل الظل يمتد و ينبسط فينفع به الناس، ولو اختلف لاختلفت آثاره في الظل الذي نراه، فيسكن الظل ولا يمتدُ ولا يقبض. في هذه الآية لفت انتباه البشر إلى هذه الظاهرة العظيمة من خلال الانزياح التركيبي في الانتقال من الغياب (لجعله) إلى التكلم (جعلنا) كي يتتبع من يتفكر في قدرة الله، فضمير المتكلم أَدخلُ في الامتنان من ضمير الغائب[1]، فضلاً عن التوازي التركيبي بين المتواليتين:

لجعله ساكنا // = فعل ماض + فاعل + المفعول به + المفعول به

لو شاء ← جعلنا الشمس عليه دليلا مستتر الأول الثاني ثم قبضناها

وإذا عدنا إلى أول الآية لوجدنا التفاضل بين الأمور الثلاثة: مدّ الظلّ وسكونه وقبضه (وكأنّ الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم منهما)[2]، فبالرغم من أن الأفعال الثلاثة ماضية إلا أن الضمير المتصل (نا) الذي دلّ على التعظيم في الفعل (قبضنا) أقوى دلالة من ضمير الغائب (الهاء) في (جعله)، أو الضمير المستتر في (مَدّ) وذلك لان الضمير(نا) أعطى معنى التمكن والقدرة في القبض، كما أن جملة (قبضناه)، معطوفة على جملة (مدّ الظلّ) أو على (جعلنا الشمس عليه دليلاً)، هذا العطف مكّن المعنى المراد من القبض الواقع بعد المدّ فهو متأخر عنه[3].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً﴾ (الفرقان: 47)، تتضمن الآية الكريمة قدرة عظيمة لله تعالى، وهي مناسبة الانتقال من الاستدلال باعتبار أحوال الظل والضحاء إلى الاعتبار بأحوال الليل والنهار، فالليل الساتر والنوم الساكن والنهار وما فيه من حركة ونشور، وعبّر عن هذه القدرة الفعل الماضي (جعل) وهو صلة الموصول (الذي)، والفعل (جعل) من أفعال التحويل وقد أدّى دلالته ووظيفته هنا، فخدم معنى الآية في

(1) ينظر: إعراب القرآن الكريم: ٣٦٢/٥؛ التحرير والتنوير: ٤٣/١٩.

(2) اعراب القرآن الكريم: ٣٦٢/٥.

(3) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٣/١٩

إبـراز قـدرة الله تعـالى علـى تحويـل النهـار إلـى ليـل وتشـبيهه باللبـاس السـاتر، وجعـل النـوم يقطـع الحركـة والسـكون لأنـه يقطـع الحـس والـوعي والشـعور، فهـو سـبات، ثـم تحويل هذا السبات المؤقت إلى حياة جديدة مرة ثانية. ويبدو هنا أمران:

١- تقـديم شـبه الجملـة (لكـم) وهـي حـال، إذ كانـت فـي الأصـل صـفة لـ(لباساً) هـذا التقديم أفاد التوكيد حيث قصر جعل الأمور العظيمة الثلاثة للبشر وليس لغيرهم.

٢-حـذف الفعـل (جعـل) مـن المتواليـة الثانيـة (والنـوم سـباتاً) ودلّ عليـه حـرف العطـف (الواو).

فجاء التوازي التركيبي متطابقاً في المتواليات الثلاث:

//	= فعل ماض متعد إلى مفعولين	+ الفاعل ضمير مستتر (هو)	+ شبه الجملة	+ المفعول الأول	+ المفعول الثاني

وبهـذا التـوازي التركيبـي التـام تتحقـق قـدرة الله التامـة فـي الـتحكم بهـذه الحـالات الثلاث بهذا النظام البديع المستقر.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ (الفرقـان: 48-49)، تصـف الآيـات الكريمـة إحـدى قـدرات الله العظيمـة وهـي ظـاهرة الريـاح المبشـرة بـالمطر، ومـا يبثـه مـن حيـاة، فقـال: (وهـو الـذي أرسـل الريـاح)، فاسـند الفعـل الماضـي إلـى الفاعـل المضـمر المسـتتر (هـو). (وانزلنـا مـن السـماء مـاءً..) اسـند الفعـل الماضـي إلـى الفاعـل المضـمر الظـاهر (نـا) المتكلمـين تعظيمـاً لشـأنه سـبحانه، فمـا كانـت الحيـاة علـى هـذه الأرض إلا مـن مـاء المطـر، إمّـا مباشـرةً وإمّـا بمـا ينشـئه مـن جـداول وأنهـار على سطح الأرض.

// =هو الذي ← أرسل الرياح ← فعل ماضٍ+ الفاعل (ضمير مستتر)+مفعول به

↓ أنزلنا من السماء ماءً ← فعل ماضٍ+ الفاعل (نا)المتكلمين + مفعول به

إنّ الانزيـاح التركيبـي الحاصـل بالالتفـات مـن ضـمير الغائـب (هـو) إلـى ضـمير المتكلمـين (نـا) وضّـح عظمـة الخـالق فـي إنشـاء وحصـول هـاتين القـدرتين (إرسـال الريـاح) و(انـزال المطـر مـن السـماء) فقـد وقـع الفعـل الأول صـلة للاسـم

الموصول (الذي) ليؤكد على عظمة الخالق وحضوره في كل نعمة من النعم المذكورة في الآيات، ومن جهة أخرى فصل للنعم بعضها عن بعض فصلاً زمانياً، فكل نعمة لها رتبتها وأهميتها وخصائصها[1]، أما الفعل الثاني الذي اسند إلى ضمير المتكلمين (نا) إنما تضمن منتهي المنّة والنعمة، ففي ذلك أشعار بان تطهير الظاهر يستلزم تطهير البواطن، وهذا لا يقدر على فعله غير الله تبارك وتعالى.

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان: 52) عندما أسندت مهمة الرسالة إلى الرسول ﷺ وهو يواجه البشرية وقد أضلها الهوى، وأبوا إلا الكفر، جاء أمره تعالى لنبيه بألاّ يطيع. وألاّ يتزحزح عن دعوته وأن يجاهدهم بهذا القرآن، وقد توضح ذلك بصيغتين للطلب، الأولى بصيغة (لا الناهية) الداخلة على الفعل المضارع، التي تفيد طلب الكف عن طاعتهم (لا تطع الكافرين) فهو أمر بالكف عن هذا العمل، والثانية بصيغة فعل الأمر (جاهدْ) وهو طلب القيام بهذا العمل، وفي كلا الصيغتين أمر بالمجابهة بقوة لا يقف لها كيان البشر ولا يثبت لها جدال أو محال[2]، فالتوازي التركيبي حصل بالصيغتين الطلبيتين، وإن تفاوتتا، فالفاعل واحد تمثل بالضمير المستتر (أنت).

لا تطع الكافرين = لا ناهية (طلب) + فعل ماض مجزوم + فاعل مستتر (انت)+ مفعول به

جاهدْهم = فعل أمر (طلب) + فاعل مستتر (انت) + مفعول به

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (الفرقان: 53)، تعرض هذا الآيات بعض مشاهد الكون وهو مشهد البحار العذبة والمالحة وما بينهما من حاجز، مقارنة بالماء الذي يخلق منه البشر لتنشأ منه الحياة البشرية. وكان للتوازي التركيبي الفعلي دور في الربط بين هذين المشهدين العظيمين (مرج

---

(1) ينظر: مستويات التحليل الأسلوبي: ٢٠١

(2) ينظر: في ظلال القرآن: ٢٥٧٢/٥.

البحـرين وخلـق البشـر مـن المـاء) لتبـرز عظمـة الخـالق تعـالى فـي إنشـاء هـذه الحيـاة وكما يأتي:

هو الذي ← مرج البحرين = فعل ماض + فاعل مستتر + مفعول به

← خلق من الماء بشراً = فعل ما + هو + شبه الجملة + مفعول به

فـالفعلين الماضـين (مـرج وخلـق) وقعـا صـلة للموصـول (الـذي) وقـد اسـندا إلـى ضـمير الغائـب (هـو)، فقـد دل عليـه وعلـى عظمتـه الاسـم الموصـول (الـذي)، هـذان الفعـلان دلاّ علـى اليـد التـي تـدبر هـذا الكـون، كمـا أن العطـف الحاصـل بعـدهما بقوله(فجعلـه نسـباً وصـهراً) أسـهم فـي تثبيـت فكـرة خلـق الله البشـر مـن المـاء مـن خـلال الفعـل (جعـل) الماضـي المسـند إلـى ضـمير الغائـب (هـو) فترتـب علـى الفعلـين (خلـق وجعـل) معنـى يفهـم مـن خلالهـا عظمـة الله تعـالى ووحدانيتـه فـي كـل شيء.

وقـال تعـالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ (الفرقـان: 85) فـي الآيـة الكريمـة أرادة الله تعـالى لنبيـه أن ينفـذ أمـرين: الأولـى أن يعلـم نبيـه المصـطفى ﷺ أنّ التوكـل علـى الحـي الـذي لا يـزول، والإرادة الثانيـة أن لا يحمـد إلا الله المـنعم الوهـاب. فـالله تعـالى مـن خـلال أوامـره إلـى النبـي ﷺ إنّمـا يـأمر عبـاده بـذلك مـن خلاله، فتم بفعلي الأمر عبر تواز تام، وكما ياتي:

توكلْ على الحيّ القيوم ← = فعل أمر + فاعل مستتر (أنت) + شبه جملة

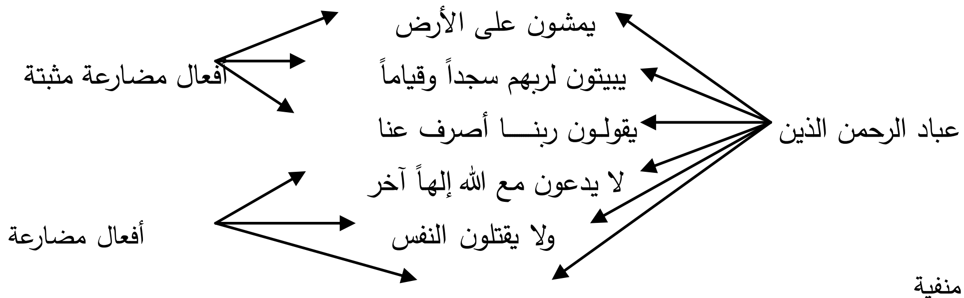
سبّحْ بحمده

وقـال تعـالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً﴾ (الفرقـان: 61) لقـد تكـرر الفعـل الماضـي (تبـارك)، كمـا أوضـحنا أول الفصـل، بدلالتـه علـى التعظـيم، التـي لـم تسـتعمل إلا لله وحـده، وذلـك لانّ مـا ذكـر بعـده دليـل علـى عظمتـه وقدرتـه، لـذلك عقـد هـذا الفعـل انسـجاماً وترابطـاً مـن أول السـورة إلـى آخرهـا، ليـربط بـين مواقـع الفعـل الثلاثـة (أول السـورة ووسـطها وقبـل نهايتهـا) ليكـون الـنظم القرآنـي كالبنـاء المحكـم المـتلاحم اللبنـات والأجـزاء. ومـن عظـيم خلقـه أن (جعـل فـي السماء بروجـاً) و(جعـل فيهـا سـراجاً وقمـراً منيـراً) فبعـد أن

استعرضت الآيات السابقة قدرة الله تعالى في شتى الأمور التي نعيشها من خلق وحياة وتسخير وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى، عرّجت الآية على ذكر آية أخرى من آيات الله الدالة على عظيم خلق الله عبر سلسلتين متواليتين لنفس النظام النحوي المصاحب بتكرارات أو باختلافات، فالعبارة الأولى (جعل في السماء بروجاً) تماثل العبارة التي عطف عليها (جعل فيها سراجاً...)، وكما يأتي: // = فعل ماض + فاعل ضمير مستتر (هو) + شبه جملة + مفعول به

هذا التماثل التركيبي المنظم في السلسلتين المتواليتين حقق الانتظام المتمثل في بديع صنع الله في السماء فتبارك الذي خلق كل شي فقدره تقديراً.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾ (الفرقان: 63-68)، تبرز الآيات الكريمة صفات عباد الرحمن المخلصين ومقوماتهم الخاصة كأنما هم خلاصة البشرية، وكأنهم الثمرة الجنية لذلك الجهاد الشاق الطويل وقد وصفهم تعالى بعدة أوصاف جاءت في السياق القرآني صلات للاسم الموصول (الذين) هذه الصلات المتعددة حددت أوصاف عباد الرحمن عبر سلسلة من الأفعال المضارعة التامة والناقصة والمثبتة والمنفية واللازمة والمتعدية فكان التوازي التركيبي بالأفعال قد أدى وظيفته في تحديد صفاتهم من خلال تلك الأفعال، وكما يأتي:



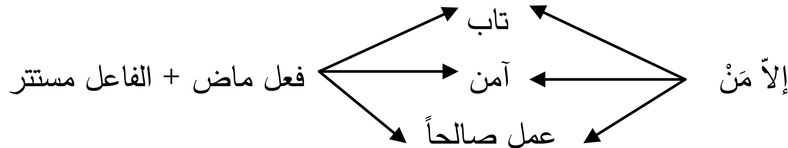
ولا يزنون

لقد تضمنت هذه الصفات الاعتدال والتوازن في حياتهم تجاه رب العالمين وشكّل مفرق الطريق بين الحياة اللائقة بالإنسان الكريم المتمثلة بالأفعال المضارعة المثبتة التي تدل على وصفهم في الحال والاستقبال، وبين الحياة الرخيصة الهابطة إلى درك الحيوان وتمثلت بالأفعال المضارعة المسبوقة بـ(لا) النافية التي تنفي حالهم ومستقبلهم وبعدها عن هذه الحياة، إلا أن هذه الأفعال المنفية ربما أثبتت عكس معناها، فهم يدعون الله وحده ويحرّمون قتل النفس ويفعلون ما أحلّ الله وما أمر به، وبذلك يتحقق التوازي التركيبي بشكل تام في الأفعال التي مثلت صفات عباد الرحمن. وتم ذلك كما يأتي:

// = فعل مضارع مرفوع + الفاعل (واو الجماعة)

فضلاً عمّا اشتملت عليه بعض المتواليات من انزياح تركيبي تمثل بتقديم ماحقه التأخير وذلك تأكيداً وتخصيصاً للمتقدم، فتقدمت شبه الجملة (لربهم) على خبر الفعل الناقص (يبيت) أعلاءً لشأن الله تعالى، وكذلك تقديم شبه الجملة (مع الله) على المفعول به للغرض نفسه.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (الفرقان: 70)، يستثنى في هذه الآية الكريمة من أراد أن ينجو من العذاب، وقد توضح ذلك من خلال صلة الموصول وهو الفعل الماضي وما عطف عليه من جمل فعلية ماضية لتبين صفات التائبين وعلى النحو الآتي:



وبهذا التسلسل في مجيء الأفعال (تاب وآمن وعمل صالحاً) الذي وضحه التوازي التركيبي، توضّح من خلاله وضع قاعدة التوبة بهذا التسلسل والنظام.

المبحث الثاني: توازي الجمل الاسمية :

يقوم هذا النوع من التوازي على تكرار الصورة النحوية نفسها باستنادها إلى ركني الجملة الاسمية (المبتدأ والخبر)، وتكون أنماط الجملة الاسمية متماثلة في مكوناتها متباينة في معانيها، ومرد ذلك إلى هيئة النظم ومواقع الوحدات اللغوية فيها[1]، ومن أنماط توازي الجملة الاسمية في سورة الفرقان:-

١- جملة اسمية الخبر فيها مفرد: مبتدأ + خبر (اسم موصول).

كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً ﴾ (الفرقان: 47).

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ (الفرقان: 53).

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ (الفرقان: 53).

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً ﴾ (الفرقان: 54).

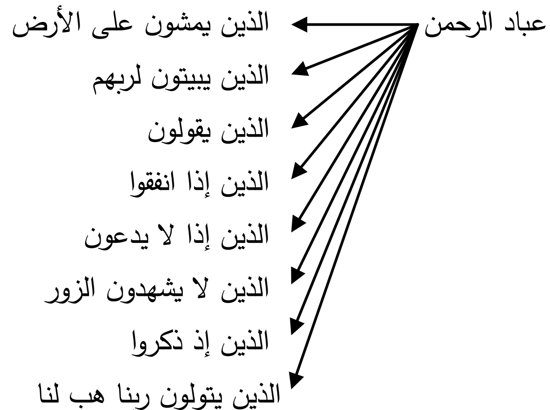
﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ (الفرقان: 62).

﴿ عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴿ 63 ﴾ وَالَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً ﴿ 64 ﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا
كَانَ غَرَاماً ﴿ 65 ﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ﴿ 66 ﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ
يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴿ 67 ﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴿ 68 ﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَاناً ﴿ 69 ﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُوراً رَّحِيماً ﴿ 70 ﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً ﴿ 71 ﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ
الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ﴿ 72 ﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا

(1) التوازي التركيبي في القرآن الكريم: (رسالة ماجستير) عبد الله خليف خضر الحياني، جامعة الموصل، 1425هـ - 2005م ، ٣٣.

صُمّاً وَعُمْيَاناً ﴿73﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴿74﴾ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ (الفرقان: 63-74).

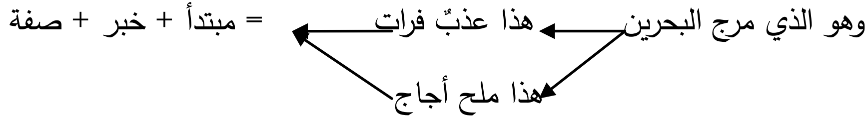
لقـد ورد التـوازي التركيبـي بالجملـة الاسـمية بـنمط متماثـل (مبتـدأ + خبـر مفـرد) فـي أكثـر مـن آيـة كريمـة تـدل علـى عظمـة الله فـي كـلّ مـا ذكـر والملاحـظ فـي هـذا الـنمط التركيبـي أن المبتـدأ (هـو: الضـمير المنفصـل) والخبـر (الـذي) شـكلا بـؤرة التـوازي للصــلات، وبمــا أن الجملــة الاســمية تعنــي الثبــوت وملازمــة الصــفة (الخبــر) للموصـوف (المبتـدأ) بـالمعنى، كـذلك بـين التـوازي التركيبـي بهـذه الصـيغة (الجملـة الاسـمية) أنهـا سـمات ثابتـة لا يمكـن أن تنسـب لغيـر الله سـبحانه وتعـالى، لـدلالتها علـى الإعجـاز فـي كـل الآيـات، فكمـا حصـل فـي الجمـل الفعليـة وحـلّ الفعـل (تبـارك) الـذي لا يسـتعمل لغيـر الله تعـالى فقـال (تبـارك الـذي)، ففـي الجملـة الاسـمية أسـتخدم الضـمير (هـو) واسـند إلـى الاسـم الموصـول فـي مواضـع عديـدة، هـذا التكـرار حقـق جـواً لغويالافتـا مثيـراً للتأمـل فـي عظمــة الخــالق ونعمــه المتعــددة وعنايتــه سـبحانه بخلقــه فــي كــل مراحلهــا. وعلــى هــذا النســق التركيبــي وصــف عبــاد الــرحمن المخلَصـين، فقـد وصـفهم بثمانيـة أوصـاف عـن طريـق ثمانيـة موصـولات (عطفـت كلهـا بـواو العطـف)، فقـال :(وعبـاد الـرحمن الـذين يمشـون علـى الأرض هونـاً..) (والذين يقولون ربنا اصرف... أولئك يجزون الغرقة).



فكان النسق التركيبي على ما يأتي:

مبتدأ + صفة + حرف عطف + الخبر (اسم موصول+ صلته) (الواو)

كما ورد توازي الجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ (الفرقان: 53) فتم باسم الإشارة (هذا) كدليل على وجود البحر العذب حقيقة (هذا عذب فرات) وعطف على هذه العبارة بنفس الدليل (هذا) كدليل على وجود هذا النوع من الماء. وقد أثبتت الدراسات العلمية هذه الحالة في كثير من الأبحاث وأصبح حقيقة لأمرية فيها. وذلك عبر التركيب الآتي:



وجاءت الجملة الاسمية الخبر فيها جملة فعلية كما في قوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (الفرقان: 17)، ورد الاستفهام هنا كأحد أنماط التوازي في السورة في الآية الكريمة فاستند التوازي التركيبي على أسلوب الاستفهام وابتدأت المتوالية الأولى (الجملة الاسمية: (أأنتم أضللتم عبادي) بهمزة الاستفهام، والاستفهام هنا غير حقيقي لأنه واقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الفهم، فخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي في المتواليتين، كما يأتي:



المبحث الثالث: توازي الجمل الشرطية غير الجازمة:

يعدّ التركيب الشرطي وحدة نحوية دالة فيها طرفان، ثانيها معلق بمقدمة يتضمنها الأول، أي أن مضمون الثاني جزاء المضمون الأول، قال سيبويه (الشرط ترتيب أمر على أمر آخر بأداة الشرط إن ومن ومهما)[1]، أي يتكون الشرط من ثلاثة أركان هي أداة الشرط وجملة الشرط وجملة جواب الشرط أو جرائه وكان الأسلوب الشرط حضور في سورة الفرقان، فهذا التركيب يحمل

(1) الكتاب: 56/3.

إمكانـات الاتصـال بـين الخطـاب والمتلقـي لمـا ينطـوي عليـه مـن مضـمون وجـداني ونفسـي وأنـه مـن أكثـر التراكيـب اللغويـة الفنيـة استدعاء للمثيـرات عنـد المتلقـي(1)، فـإذا توالـت الجملـة الشـرطية متضـمنة مفارقـات دلاليـة متعـددة كانـت أوقـع فـي البيـان وابلـغ فـي الحجـاج. وقـد ورد أسـلوب الشـرط فـي سـورة الفرقـان فـي عـدة مواضـع نقتصـر علـى ذكـر الآيـات التـي اشـتملت علـى أداة الشـرط مـن غيـر تكـرار علـى الأغلب للأداة.

قـال تعـالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ (الفرقـان: 12) ورد الشـرط فـي معـرض الحـديث عـن مصـير المعرضـين الكـافرين فـي نـار جهـنم فجـاءت أداة الشـرط (إذا) وهـي ظـرف لمـا يسـتقبل مـن الزمـان. فكـان لهـا الـدور الكبيـر فـي توجيـه المعنـى المـراد، وقـد حـدث التـوازي فـي الآيـة بـالفعلين (رأت، سـمعوا) الـذين ارتبطـا بـأداة الشـرط (إذا) ومـا تضـمنا مـن تماثـل بالتركيـب، حيـث أن كـل منهـا فعـل مـاضٍ، لكـن الأول اتصـل بتـاء التأنيـث (أشـارة إلـى جهـنم) ثـم يليهـا المفعـول بـه (هـم) (إشـارة إلـى كفـار)، أمـا الثـاني فانـه اسـند إلـى واو الجماعـة أشـارة إلـى الكفـار مـن أنفسـهم، وقـد عـزّز هـذان الفعـلان دلالـة العـذاب، حيـث أن جهـنم تـراهم مـن مكـان بعيـد وهـم لا يرونهـا بـل سـمعوا غضـبها وتغيظهـا (مـن مكـان بعيـد) هذا المشهد بمعناه ادّاه التركيب الشرطي والتوازي بين طرفيه.

إذا ⟵ رأتهم = فعل ماض + تاء التأنيث + الفاعل مستتر + مفعول به (هم)

↙ سمعوا لها تغيظاً = فعل ماض + فاعل واو الجماعة + شبه جملة + مفعول به

وهـذا مـا ينطبـق علـى المشـهد فـي قولـه تعـالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (الفرقـان: 13)، فقـد حـدث التـوازي التركيبـي بـين طرفـي الجملـة الشـرطية، وتحقـق مـن خـلال تـوازي البنـى المتشـابهة بـين تراكيـب فعـل الشـرط

(1) التـوازي فـي أحاديـث منتقـاة فـي صـحيح مسـلم: دراسـة تحليليـة، أطروحـة دكتـوراه، أسـماء وليـد حمـدون الصـفاوي، جامعـة الموصـل، كليـة التربيـة للعلـوم الإنسـانية، 1437هـ - 2016م ، 112.

وجوابه، فكل منهما فعل ماضي مسند إلى واو الجماعة الذي يشير إلى الكفار، بيّنا مآل الكفار في نار جهنم.

إذا

ألقوا فيها مكاناً = فعل ماض + فاعل + شبه جملة + منصوب على
واو الجماعة نوع الخافض

دعوا هنالك بثورا = فعل ماض + فاعل واو الجماعة + شبه جملة + مفعول به

وفي قولة تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: 19) لا يخفى التوازي في الآية الكريمة، إذ أوردت تركيباً شرطيا يوضح جزاء الظالم، حيث العذاب الكبير، وإنّ التركيب الشرطي (فعل الشرط وجوابه) المرتبطين بالأداة (من) التي تفيد العموم أي ان ذلك الجزاء يعّم كل ظالم، فجاء كل منهما مضارعين مجزومين، أما الجواب فجاء مخصصاً لله وحده ثم بصيغة الجمع تعظيماً لله تعالى، وعلى النحو الآتي:

ومَنْ يظلم = فعل مضارع مجزوم + الفاعل ضمير مستتر + مفعول به محذوف

نذقْه = فعل مضارع مجزوم + الفاعل ضمير مستتر + مفعول به

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ (الفرقان: 45) في معرض الحديث عن قدرة الله تعالى في هيمنته سبحانه على الكون ومشيئته في تسييره، فحصل الشرط بالأداة (لو) وهي أداة امتناع الجواب لامتناع الشرط، أي نفي لما يحصل نفياً ضمنياً، وهو من أروع الأساليب الشرطية، عندما يراد نفي الحدث نفياً تاماً، فسبحانه لم يجعل الظل ساكناً لأنه لم يشأ ذلك، وهذا من بلاغة الأسلوب القرآني، أما فعل الشرط وجوابه فهما ماضيان اسندا إلى ضمير الغائب (هو) أشارة إليه سبحانه وتعالى، فحصل التوازي التركيبي بهذه المتوالية كما يأتي:

لو شاء = فعل ماض + فاعل (ضمير مستتر).

اداة شرط

لجعله = فعل ماض + فاعل (ضمير مستتر) + مفعول به.

وفـي قولـه تعـالى ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ (الفرقـان: 37) بينـت الآيـة الكريمـة عاقبـة قـوم نـوح حـين كـذبوا الرسـل وهـي الغـرق، هـذه العقوبـة كانـت موجهـة لهـؤلاء القـوم فحسـب نتيجـة عمـل بذاتـه قـاموا بـه، فـالتوازي التركيبـي المتحقـق فـي الجملـة الشـرطية هنـا ابتـداء مـن الأداة التـي تـدل علـى معنـى (الوقـت أو الحـين)، وبتركيـب فعلـي (الشـرط وجوابـه) (كـذبوا، أغرقنـا) المسـندين إلـى الضـمير المتصـل تـم التـوازي بالانزيـاح التركيبـي بالالتفـاف مـن ضـمير الغائـب إلـى المـتكلّم وربـط بـين طرفـي الشـرط، ففعـل الشـرط (كـذبوا) مسـند إلـى ضـمير الغائـب (واو الجماعـة)، أمـا جـواب الشـرط (أغرقنـا) فقـد اسـند إلـى ضـمير المـتكلم (نـا)، ولـم يـأت بصـيغة (غرقـوا) ليـدل علـى سـلطته تعـالى علـى جميـع خلقـه وعدالتـه فـي معاقبـة المكـذبين حينما كذبوا، بهذا الصيغة:

قوم نوح لماّ كذبوا // = فعل ماض + الفاعل (واو الجماعة) + المفعول به محذوف

أغرقناهم = فعل ماض + الفاعل (نا) المتكلمين + المفعول به

نتائج البحث :

1- تكـرر الفعـل (تبـارك) لأن السـورة أقيمـت علـى ثـلاث دعـائم، وقـد افتتحـت آيـات كل دعامة بجملة (تبارك الذي) وهذا يدل على براعة المطلع.

2- تبـين أن الجملـة الفعليـة فـي سورة الفرقـان هـي الأكثـر وروداً، وهـذا مـا يـدل علـى حيوية الأحداث والصور التي ذكرت.

3- وردت الأفعـال – غالبـاً – بصـيغة الماضـي فـي هـذه السـورة وهـذا دليـل تحقـق حدوث الفعل.

4- جـاءت الجملـة الاسـمية فـي غالبهـا إمّـا مصـدّرة بالاسـم الموصـول (الـذي، الـذين) أو مصـدّرة بالضـمير (هـو) وهـذا مـا حقـق جـواً لغويـا لافتـاً ومثيـراً للتأمـل في المقصود.

5- هيمنـة الضـمير (نـا) المتكلمـين فـي الأفعـال التـي تـدل علـى قـدرة الله العظيمـة، فقـد نسـبها جميعـاً لذاتـه العلّيـة تعظيمـاً لشـأنه ودلـيلاً علـى سيطرته المطلقـة فـي

كـل الأمـور. فكـان الضـمير (نـا) المتكلمـين ظـاهرة التـوازي الأبـرز التـي عملـت على انسجام الجو العام للآيات بمختلف محاورها.

6- اسـهم الإنزيـاح التركيبـي – المتمثـل بالالتفـاف تـارة وبتقـديم مـا حقـه التـأخير تـارة أخـرى – اسـهم فـي ابـراز المـراد مـن الآيـات الكريمـة، لمـا يحققـه مـن تأكيـد علـى عظمة الله تعالى وقدرته المطلقة.

References:

- Abin Jnni, AlKhasayisu, dar alshuwuwn althaqafiat aleamat , baghdad , 1990, 2005 .

- 'Ahmd Bin Faris, Maqayis AlLughati, dar alfikr - bayrut, 1979, 6700 .

- AlJirjani, AlMuqtasid Fi Sharh Al'Iidaha, Manshurat Wizarat AlThaqafat Wal'iielami, aljumhuriat aleiraqiati, 1982, 1250.
- AlJirjani, Dalayil Al'Iiejaz , Maktabat AlKhanji, Matbaeat AlMadani, dar aljili, bayrut, lubnan , 2004, 420 .
- AlJrjany, 'Asrar AlBalaghati, Matbaeat AlMadni- AlQahirati, 2010 , 350 .
- AlJwhry AlSihah (Taj AlLughat Wasihah AlEarabia), dar aleilm lilmalayin - bayrut , 1987, 8500 .

- AlSamin AlHlby, AlDr AlMasun Fi Eulum AlKitaab AlMaknuni, dar alqalam - dimashqa, 2001, 1400.

- AlShaykh Muhamad Tantawi, Nash'at AlNahw Watarikh 'Ashhar AlNuhat , Maktabat 'iihya' alturath al'iislami, 2005, 180 .

- AlZmkhshry, AlKashaf Ean Haqayiq AlTanzil Waeuyun Al'Aqawil Fi Wujuh AlTaawili, dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, 2008, 4100 .

- 'Asrar AlTakrar Fi AlQurani, AlKarmani, dar alfadilat lilnashri, birut, 2010, 430 .
- Eadnan Jasim Muhamad, AlAyat AlQuraniat AlMutaealiqat Bialrasul Muhamad ρ: Qirasat Balaghiat Aslubiati, Diwan AlWaqf alsini, baghdad, 2009, 410 .
- Fadil AlSamrayy, AlJumlat AlEarabiat Walmaenaa, dar alfikri, bayrut, 2007, 340.
- Fakhriat Ghurayb Qadir, Tajaliat AlDalalat AlAyhayyat Fi AlKhitab AlQuranii Fi Daw' AlLisaniaat AlMueasirat Surat AlTawbat Anmwdhjaan, Ealam alkutub alhadithi, al'urduni, 2011, 400 .
- Jalal AlDiyn AlSywty, AlIaqtirah Fi Eilm 'Usul AlNuhu, dar albayruti- dimashq 2006, 340 .
- najam aldiyn altwfy, sharah mukhtasar alrawdata, muasasat alrisalat - bayrut, 1987, 620 .
- Saed Mursi 'Ahmd, Tatawur AlFikr AlTarbawi, Ealam AlKutub - alqahirat , 1986, 230 .
- Samih AlRawashidi, Maghani AlNasi (Dirasat Tatbiqiatun) Fi AlShiear alhadithi, 2006, 350 .
- Sibwyhi, AlKitaab , dar alkutub aleilmiati, bayrut, 1999, 1800 .
- Sid Qutba, Fi Ailal AlQurani, dar alshuruq, birut, 2004, 2300 .
- Tamaam Hasaan, AlLughat Bayn AlMieyariat Walwasfiati, Ealam alkutub - masr, 2000, 240 .

Parallel Grammer in Surat ALFurqan

May Yassen Taha*

Abstract

Syntactic significance is related to the structure of the sentence, so grammatical evidence becomes the means of revealing the structural meaning.. That is, produced by systems, combining the installation units together with one another and coordinating them.That the most important components of the parallel structures that lean on the grammatical structure because it has to identify the basic features of the pit and the lap systems, and have to understand the dimensions of semantic .

Surah al-Furqan - as it is in every surah in the Qur'an - is a continuous unit that is difficult to separate from one another,Therefore, our study of the structural parallelism in this sura will be based on the sequence of the verses in the sura, because of the strength of the interconnected structure of the grammatical structures between them and the result of the plural formative displacement.

Key words : displacement، installation، rendering

* **Lect. Asst./ Nineveh Education Directorate / Ministry of Education**